

## الفكر السياسي الفلسطيني، ١٩١٨ - ١٩٤٨

د. علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، ١٩١٨ - ١٩٤٨، عمان: مركز الكتب الاردني، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ٣٨٧ صفحة.

على الرغم من الاهتمام المتزايد بكتابة تاريخ القضية الفلسطينية، خلال السنوات الاخيرة، وظهور المزيد من الكتب المتخصصة بمختلف الجوانب، إلا أن هذا الكتاب، هو الوحيد الذي يعالج جانب تطوّر الفكر السياسي الفلسطيني خلال الفترة المذكورة أعلاه.

أوضح مؤلف الكتاب، في مقدمته، أن نصيب الحياة السياسية من الدراسات والبحوث كان وافرًا. غير أن نصيب الفكر السياسي منها ضئيل، «ولذا، رأيت أن أسدّ هذه الفجوة، وعزمت على أن أتلاقى هذا النقص، فعدت الى المصادر الأولية من مؤلفات صدرت عن رجال الفكر والسياسة في ظل الاحتلال والانتداب البريطانيين [١٩١٨ - ١٩٤٨]، ومقالات وبيانات وشهادات، وغيرها من وثائق نشرت في المدة نفسها، وفي ما تلاها، ودرستها دراسة وافية؛ وأفدت كثيراً من الدراسات والبحوث المنشورة التي تناولت الحياة السياسية في هذه الحقبة الزمنية، فخرجت بهذه الدراسة التي أقدمها الى الباحثين والقراء العرب، مساهمة متواضعة في دراسة تاريخ فلسطين المعاصر، (ص ٣).

وتحت هذا المحتوى، جاءت مواد الكتاب مرتبة ترتيباً منهجياً، عبر سبعة فصول أساسية، تتفرع عن كل منها نقاط تفصيلية، وتركز، في مجملها، على الافكار السياسية المفصلية، دون أن يتحكم بها العامل الزمني فقط.

بدأت مواد الكتاب بمدخل عام، يشكّل، بمجمله، الاطار الاقتصادي - الاجتماعي، منذ نهايات الحكم العثماني وبيداتيات الغزو الصهيوني لفلسطين، وبروز الوعي السياسي، الذي تجسّد بالدعوة الى الجامعة الاسلامية، والى القومية العربية، وادراك الخطر الصهيوني، منذ ان اتخذ الغزو شكلاً منظماً في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وأشار الكتاب الى ان أول من أدرك طبيعة الحركة الصهيونية، ومستقبل صراعها مع الحركة القومية العربية، هو نجيب عازوري، في كتابه «يقظة الأمة العربية»، الذي أصدر في باريس سنة ١٩٠٥؛ وان أول الصحف العربية التي نُبّهت الى الخطر الصهيوني، كانت صحيفة «الكرمل» التي أسّست في حيفا سنة ١٩٠٩، حيث شنّ صاحبها، نجيب نصار، حملة قوية على الصهيونية، ونشر كتاباً بعنوان «الصهيونية؛ تاريخها، غرضها، أهميتها».

تعرّض الفصل الاول الى مفهوم الاستقلال الوطني والموقف من الاحتلال والانتداب البريطانيين، بدءاً من عدم وضوح الاستقلال السياسي في أذهان المفكرين ورجال السياسة العرب في فلسطين، حيث كان هؤلاء يعتبرون جوهر الاستقلال في «التحرر من نفوذ أجنبي أو حماية أجنبية، مع التمسك بوحدة فلسطين مع الاقطار الشامية الاخرى» (ص ٢٧)، انتقالاً الى تغيير هذا المفهوم، في أعقاب قرارات مؤتمر سان ريمو، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠، وسقوط مدينة دمشق في أيدي الفرنسيين، في السنة عينها؛ إذ مُنيت فكرة الاستقلال الوطني بتراجع، ظهرت نتائجه واضحة في قرارات المؤتمر الفلسطيني العربي الثالث، الذي عقد في حيفا، في ١٨ كانون الاول